المورد

تعقيب وعرض

بقلم
الدكتورة ابتسام الصفار

(١) تعقيب على شعر الجاحظ

قرات ضمن النصوص المحققة في مجلة المورد العدد الثالث المجلد الثالث شعر الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر للاستاذ محمد جبار المعيبد . وقد اعجبتني الدراسة التي مهد بها الباحث الفاضل لشعر الجاحظ : لانه اوضح لنا ان الجاحظ لم يكن شاعرا ـ وان قال بعض الشعر ـ (ولم يبلغ الشاعرية المستوى الذي يجعلنا نعده من شعراء العصر المرموقين) اما الروايات التي نقلها الباحث في نقد شعر الجاحظ فهي مهمة جدا توضح اراء القدماء فيه ، وانهم لم يعتبروه شاعرا مرموقا كان او غير مرموق . انما نبغ الجاحظ نبوغا رائعا في ميدان النثر كتابة وتاليفا حتى الف اسمه عبر العصور وصار امام عصره في البيان ، ويكفينا ما نقله الباحث الفاضل من رواية ابي هفان حين احجم عن هجاء الجاحظ فقال : امثلي يخدع عن عقله ! والله لو وضع رسالة في ارنبة انفه لما ظن منها بيت في الف سنة .

اما الاشعار التي اثبتها المحقق الفاضل للجاحظ فهي قليلة لم تتجاوز (٤٢) بيتا متفرقة في القسم الاول ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، البقية متنازع عليها . اما القسم الثاني فلا يمكن ان نطلق عليه اسم الشعر ، لان الجاحظ قاله على السنة بعض الناس مما اقتضته رسالة صناعة القواد التي الفها ، وبما عرف به الجاحظ من قدرة فائقة في الدفاع عن وجهات النظر المختلفة اذا عرض لذكرها او مناقشتها .

قراءة هذا الشعر اثار في نفسي تساؤلا ؟ ما الفائدة من تحقيق الشعر ؟

اعتقد ان تحقيق اشعار القدماء وجمع دواوينهم مساهمة كبيرة في بعث تراثنا العربي القديم ، وبعث جديد للدور الذي قام به رواة الشعر الاوائل . ولكنه بعث ، يجب ان يوجه نحو الشعراء الذين كان لهم دور كبير في اغناء الفكر العربي والانساني ونحو الشعراء الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في مجتمعهم واحداث امتهم .

ان ما يتركه شعر الجاحظ اول وهلة هو تشويه الصورة الرائعة التي عرفناها عن الجاحظ لتحل محلها الفاظ سوقية ومعان مبتذلة مثل ما ورد في شعره من ذكر قصاع الاحزان ، ولوزينج النفوس (٢٢) ، وبرانيث الوجد (٢٣) ، ومعلف الكبد (٢٥) ، وبنات وردان ، وبريخ الهوى (٢٨) ، وروث الحب ، وخنافس الهجران ، وسلح البين (٢٩) ، وزنبيل البين وليفة الصد (٧) . الى غير ذلك مما ينبو عن ذكره الذوق السليم والفن الرفيع ، فكيف به وهو ينسب للجاحظ امام النثر والبيان وذواقة الشعر والنثر .

واخيرا اقول يكفي ادبنا العربي فخرا ما قدمه الجاحظ للفكر والادب من نتاج ثر اصيل ، والجاحظ في شموخه الادبي لا يحتاج الى شهادة شعر نثبتها له .

ومعذرة للاستاذ المحقق فهو معروف بتحقيقاته القيمة ، ومزيدا من النتاج الذي يخدم فكرنا وامتنا .

---

(٢) مع كتاب « تحفة الوزراء » للثعالبي

اود ان اتحدث عن كتاب مهم من كتب الثعالبي ابي منصور عبدالملك ابن اسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩هـ . والكتاب يعرض جانبا حيا من جوانب الحضارة الاسلامية ، ويعالج قضية مهمة لها مساس مباشر بالحياة السياسية والعامة للمجتمع العربي الاسلامي : وهو موضوع الوزارة وما ينبغي ان تكون عليه او شروطها ، وواجباتها ، ومقوماتها .

الكتاب مخطوط وتوجد منه اربعة نسخ خطية :

الاولى : نسخة مكتبة فيض‌الله رقم ٢١٣٣ وتاريخ نسخها ١٤ رمضان ١٠٢٨ وعنها نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية وتقع هذه النسخة في ٤٠ ورقة .

الثانية : نسخة مكتبة امانة خزينة برقم ١٧٢٦ وهي مكتوبة سنة ١١٢١ هـ بخط يوسف بن محمد بن الوكيل المقوي

وقع في ٤٤ ورقة وقد نسخها عن الأصل الاستاذ حسين علي الدالوقي الاستاذ حبيب الراوي (١) وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية .

الثالثة : نسخة مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وعليها تملك للفقير احمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده ، وهي نسخة متاخرة ايضا .

رابعا : نسخة مكررة ايضا كتبت سنة ١٢٠٠ هـ

هذه النسخ الاربعة تبدو منقولة عن اصل واحد ، اذ لا فرق بينها في النصوص والاخبار ، وكل ما نجده من فروق هو في رسم بعض الحروف ، وزيادة بعضها ونقصان الاخر ، او في تحريف بعض مما يقع عادة عند كثير من النساخ .

مادة الكتاب :

رتب كتاب تحفة الوزراء بشكل ابواب خمسة ، وكل باب مقسم على جملة فصول . والابواب هي :

الباب الاول : في اصل الوزارة واشتقاقها

الباب الثاني : في فضائلها ومنافعها

الباب الثالث : في ادابها وحقوقها

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم ونكت ألفاظهم وعفوهم ومدائحهم .

الباب الاول :

تحدث فيه المؤلف عن اشتقاق كلمة الوزارة ، ووروودها في القرآن الكريم في قوله تعالى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي ، اشدد به ازدي واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ، قال قد اوتيت سؤلك يا موسى .) . ومن هنا يعتبر المؤلف هارون اخا النبي موسى اول وزير سمي بهذا الاسم . ثم يبحث اشتقاق كلمة الوزر فيذكر اشتقاقين : الاول وهو الثقل ، لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزر له . ومنه قوله تعالى : (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) . اي اثقالا من امتعتهم وحليهم .

اما الاشتقاق الثاني فهو الازر بمعنى المعاونة ، لان الوزير يعين الملك على ما هو بصدده من اعباء السياسة ، ومنه قوله تعالى : (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازدي) اي اشتد بمعونته ، ومساعدته . ثم يذكر رايا اخر يعتبر فيه كلمة الوزارة غير عربية وهي من الزور بالفارسية ومعناها عندهم اسم للشدة والقوة فاستعير وعرب . والمعنى فيه انه يشد صاحب الدولة ، ويقويه ويعينه على ما هو بصدده .

ويرجح المؤلف ان يكون اسم الوزارة مشتقا من معنى المساعدة والاعانة . ثم يبدا بالحديث عن الوزارة عند اليونان والفرس حيث يذكر انه قلما كان من عظماء ملوك الفرس الا وكان له ثلاثة وزراء واكثر الى سبعة او عشرة . واهل الهند يقولون : امثل ما ينبغي ان يكون للملك اربعة وزراء . واخيرا يتحدث عن اهمية الوزراء ، وضرورة وجود الوزراء في تدبير شؤون المماليك متمثلا باقوال البلغاء والمشهورين من الخلفاء والوزراء وبذلك ينتهي الفصل الاول من الباب الاول .

وبعد ذلك يبدا فصل في الوزير الصالح ، وقد افتتحه المؤلف بقول النبي صلى الله عليه وسلم : اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره ، وان نوى خيرا اعانه ، وان اراد شرا كفه .

وعمدة الراي عند المؤلف في استيزار الوزير ان يكون شريفا لا وضيعا مجهولا ويضرب لذلك مثلا بقوله (الورقة ٦) :

وعمدة الامر في الوزارة ان يستوزر الشريف المذكور ، ولا يؤمل لها الوضيع المجهول ، كما فعل غير واحد من الملوك ، فجنوا على ملوكهم ، واراقوا دماء دولتهم ، وهدموا ركن سياستهم ، ومنهم عزالدين بختيار فانه استوزر صاحب مطبخه ابا طاهر محمد بن بقية ، وكان الى اليوم الذي خلع عليه يقدم الطعام اليه ، ويحمل الفضاير بيديه ، ويتشح بمناديل الفمر ، ويذوق الالوان عند تقديمه اياها كما يفعل من يتقلد المطبخ ، ولما استوزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار ، وتعجب الناس من وزارته . وقال قائلهم (من القفارة الى الوزارة) . ولم تكن عينه تقع الا على من كان فوقه من اصاغر القوم . فاما اكابرهم واوساطهم فلم يكن ممن يكلموه . وزادت به دولة بختيار اخلافا وعارا ، وتضاحك الناس به قربا وبعدا ، وكان كل واحد منهما ساعيا في عاقبة امره ، وسبب هلاكه .

فصل فيما يوجبه حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد . وقد ذكر فيه المؤلف اقوالا وامثالا في هذا الباب تؤيد فكرة الاقتصار على وزير واحد وبذلك يخالف ما ذكره في اول هذا الباب من تعدد الوزراء .

الباب الثاني : في فضائل الوزارة ومنافعها . وقد ذكر فيه ايات واحاديث واقوالا ابتدأها بوصايا ملوك الفرس ، ثم ذكر اقوال بعض وزراء بني العباس مبتدا بالفضل بن سهل ، الا انه عاد فتمثل بقول قديم في الوزارة وهو القول المنسوب لارسطو عن الاسكندر الذي انتخب سبعة وزراء يصحبونه ويتكفلون مصالح دولته . ثم يذكر نصيحة الاسكندر لهؤلاء الوزراء .

الباب الثالث : في آداب الوزارة وحقوقها ، ابتداه بقوله (الورقة ٩) :

ينبغي ان يختار للوزارة من اجتمعت فيه الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة ، وعرف بالاراء السديدة ، وجودة التدبير ، وصواب الاراء المفيدة فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة . واذا كان زمان الصلح والهدنة يصلح ان يكون الوزير حليما ساكنا واذا كان زمان الفتن والحروب يصلح ان يكون شجاعا صارما .

ثم ينقل اقوالا عن بعضهم في شروط الوزير الصالح فينقل خبرا عن ابي زيد البلخي وعن اخر ، وعن بعض الحكماء ، ثم يذكر ما كانت الاكاسرة تشترطه في اتخاذ الوزير الصالح . ويختم حديثه ببيتين من الشعر لبعض الشعراء في من نال الوزارة وهو عري من هذه الخلال (الورقة العاشرة) :

لا كمال لا جمال ... لا بيان لا عبارة

هكذا الرسم لديكم ... اين آلات الوزارة

بعد ذلك يخصص المؤلف فصولا تندرج تحت هذا الباب

---

(١) لقد اوشكنا على الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب بالاشتراك مع الاستاذ حبيب الراوي

فيبدأ بفصل لعمرو ابن مسعدة في وصف الوزير ، ومع ذلك فانه يدرج مع قول ابن مسعدة بيتين لابي الفتح البستي في الصاحب بن عباد ، ثم يذكر فصلا في حق الملك على الوزير . ويتنقل في توضيح هذا الحق بين اقوال الحكماء العرب واليونان واقوال بعض الخلفاء من بني امية وبني العباس ثم جزء لعبدالحميد الكاتب في الوزير ويليه فصل في حقوق الوزراء على الملك . ويضع المؤلف هذه الحقوق في اربعة شروط ينقل خلالها بعض الاخبار التاريخية . بعد هذا الفصل يذكر فصلا يشمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء . وفيه خبرين الاول عن المامون . والثاني عن الوزير عونالدين ابن هبيرة والخليفة المستنجد (وهذا الخبر موضع شك سنتناوله بالمناقشة فيما بعد) .

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها :

وهذا الباب مهم جدا يوضح اقسام الوزارة وميزاتها فهي تنقسم الى وزارة مطلقة واخرى مقيدة . فاما المطلقة فهي وزارة التفويض وهي اكمل انواع الولايات لاشتمالها النظر في امور المملكة وهي لا تحتمل الشركة ، لانها وزارة تامة .

ويقسم المؤلف هذا الباب الى فصول ايضا فيذكر فصلا في الخصال التي ينبغي ان تجتمع في هذا الوزير (وزير التفويض او المطلق) مع ما تقدم وصفه من الشرائط والاداب .

ويخصص فصلا اخر في وزير التفويض الصالح ايضا وما يجب عليه عند توليه الوزارة كضرورة انتدابه الولاة الصالحين ممن يتفقدون احوال الولايات ، دقيقها وجليلها ، وضرورة النظر في الاموال ، وامر الاجناد ، متتبعا امورهم واحوالهم ، معوضا ما تلف من خيلهم وقوتهم .

ثم يتحدث عن النظر في اموال الدولة ، وكيف ان العناية يجب ان تكون بتثمير الاموال اكثر من العناية بجمعها . وعلى وزير التفويض ايضا الا يهمل صغار الامور او لا يخور ، ولا يراتع اذا دهمه امر عظيم ، وبفته خطب جليل . ويتمثل المؤلف بقول لابي زيد البلخي في الوزير الذي يتصف بالخلال الحميدة التي تؤهله لوزارة التفويض .

بعد هذا الحديث المفصل عن وزير التفويض يختتم الثعالبي هذا الفصل باربعة اسطر فقط عن الوزير الثاني الذي يسميه بالوزير الخاص او المقيد والذي يعرف بوزير التنفيذ وذلك لانه يتعين عليه ان لا يغيب عن موضع الملك ، لانه يحتاج الى مشورته ومراجعته في اكثر الامور الحوادث فلا يبعد عنه لا ليلا ، ولا نهارا ... (الورقة ١٥) .

ثم يبدأ فصل في الفرق بين الوزارتين المذكورتين ثم فصل في ذكر رسوم وزارة التفويض فيتحدث فيه عن وظائف هذا الوزير ، وكيف انه يجب ان ينظر في جميع الدواوين يستعرض حساباتهم واعمالهم ، ويقوم معوجهم ، ويصلح فاسدهم ، ويعرض على الملك الجمل من ذلك ، ولا يعزل الولاة ولا يصرف من كان على رؤوس الدواوين ، والاعمال الجليلة الا بامر الملك، لانه كالواسطة بين الملك والرعية . وبهذا يوضح المؤلف الفرق بين الوزيرين .

بعد ذلك فصل في ذكر المشورة : ويذكر فيه اقوالا مختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية واقوالا لبعض العلماء والحكماء في فضل المشورة .

ثم فصل فيمن ينبغي ان يستشار ومن لا يستشار .

وفصل في كتمان الاسرار، وكيفية المشورة. وفي هذا الفصل اخبار تاريخية عن الوزراء والحكام العرب .

ثم فصل في احتياج الملك الى معاونة الوزير وفصل في وجوب النصح بالاستشارة .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم (الوزراء) ونكت الفاظهم

يبتداه بفصل في الكفاءة : تحدث فيه عن الوزراء الذين جمعوا بين البلاغة والسياسة ويعدد منهم عمرو بن العاص الذي اشتهر بالدهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدبير الحروب ، ومنهم زياد بن ابيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ويوسف بن عمر والمهلب بن ابي صفرة ، وابنه يزيد والمختار.. اما في الدولة العباسية فيبدأ بذكر ابي مسلم الخراساني ويصفه بانه احد رجال الدنيا سياسة وهمة وبلاغة ، ثم يذكر من بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد والمامون . ويستطرد فيعدد كفاة الولاة والوزراء من بني العباس كابي سلمة الخلال ، وابي ايوب المورياني ويعقوب بن داود ، والفضل بن سهل ...

ثم فصل في نبذ ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم . ويكاد ان يكون هذا الفصل اطول الفصول لكثرة الاخبار والاقوال التي نقلها المؤلف عن الوزراء العرب المشهورين .

وبعده فصل في محاسن ابي الفضل بن العميد ورقعة استيزاره الى بعض اخوانه . ثم يذكر فصلا اخر علقت هذه الاحرف حيث ينقل بعد هذه الفقرة اقوالا عن مشهوري الوزراء العرب ، ويستمر بذكر لطائف الوزراء يتبعها بذكر تواقيع الوزراء وفصولهم .

ثم فصل في العفو وما يجري مجراه ، ثم فصل لابن ثوابة من كتاب الى وال ، وفيه يتحدث عن عقاب المجرمين ، وايداعهم السجون ، وعن ضرورة اشراف الوزير على حال السجناء ، وتتبعه لاخبارهم ، ومعرفة من اظهر التوبة والعفو منهم . ويتبعه بفصل لابن ثوابة ايضا من كتب الى وال . ومع انه سمى هذا الفصل باسم ابن ثوابة فان الكتاب لم يكن مرسلا الى وزير وانما هو مرسل الى وال ولكنه يدخل ضمن السياق العام الذي يتحدث فيه المؤلف ، وهو حديث الجرائم والسجناء ، وفيه يامر امير المؤمنين باحصاء من في الحبوس من ارباب الجرائم الذين لا يسوغ اخراجهم ولا لهم مال ينفقونه فيثبت اسماءهم ويبتاع لكل رجل منهم قميصا وسراويل وقلنسوة ، وللمراة رداء وخمارا وقميصا، على ان يولي الوالي على هذه الامور امناء عارفين بذلك مباشرين له .

وبعد هذا الكتاب يستمر المؤلف ضمن فصل ابن ثوابة بذكر نكت واخبار من تواقيع الوزراء ، واخبارهم مع السجناء ورعايتهم لهم .

ثم فصل في التهنئة بالخلاص من السجون والنكبات . ويبدو هذا الفصل غير منسجم مع الفصول الاخرى ، اذ انه لا علاقة له بالوزارة والوزراء وكل ما فيه بيتان للمهلبي من قصيدة ، وآخران للبحتري حيث يختم الفصل فيليه فصل في استعطاف الملوك والوزراء ، والعفو والرضا ، وما يحسن في ذلك ، ويحمد . ثم يختم الباب بفصل في بعض مدائح الوزراء فيذكر اشعارا لعمر الربيب في مدح آل برمك ، ولابي الحجناء نصيب ولسلم الخاسر ، ولابي الفرج البيغاء وغيرهم من الشعراء حيث يكون هذا الفصل خاتمة الكتاب .

نسبة الكتاب :

لابد ان نتساءل عن صحة نسبة الكتاب للثعالبي : ولنبدا بالهيكل العام الذي استعرضناه قبل قليل لنعرف ما اذا كان منسجما مع طريقة الثعالبي ام لا ! وهل كل ما ورد في الكتاب هو للثعالبي ام لا ؟

ان قراءة الكتاب والاطلاع على منهج المؤلف يعطينا صورة منسجمة مع منهج الثعالبي في تاليفه . فالثعالبي يضع خطة معينة يلتزم بها في كل كتاب فهو يقسم كتبه الى ابواب ثم الى فصول تاركا تسمية بعض الفصول او يسميها باسم من يذكر له خبرا او شعرا ، وقد يسميها باسم الموضوع الذي يتناوله ، وهذا ما وجدناه في الكتاب الذي بين ايدينا .

اما فحص مادة الكتاب والاعلام والاخبار الواردة فيه فانها تضعنا امام احتمالين لكل منهما مبرراته في رفض نسبة الكتاب الى الثعالبي او ترجيح نسبتها اليه .

حين تتصفح الكتاب تجابهك اسماء اعلام لشخصيات متاخرة عن عصر الثعالبي ، واخبار عن حوادث وقعت بعد عصره بقرن او قرنين ومعلوم ان الثعالبي توفي سنة ٤٢٩هـ لذا يجب ان نتتبع هذه الاعلام والاخبار .

١ ـ ينقل المؤلف في الورقة (٨) وضمن الباب الثاني (في فضائلها ومناقبها) ينقل خبرا من كتاب اخبار الدولة السلجوقية يذكر فيه ان السلطان ملكشاه تغير على وزيره نظام الملك الحسن بن علي بن اسحاق وارسل اليه خادمه صندل ليبلغه رايه فيه ويطلب منه ان يقصر عما هو عليه ويهدده ان لم يستجب له .

ونظام الملك المذكور في النص هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الوزير الاديب المشهور . استوزره السلطان الب ارسلان ، وبقي في خدمته عشر سنين ، ومات الب ارسلان فاستخلفه ولده ملك شاه ، فصار الامر لنظام الملك . واخيرا اغتيل على مقربة من نهاوند سنة ٤٨٥ (٢) .

وفي الورقة ٩ ابيات لابن الموصلايا في مدح نظام الملك مطلعها :

ذراها في ازمتها تهادى ... وعاد بها الثنايا والوهادا
ولما ان تفرد بالمعالي ... وادرك في مداها ما ارادا

وابن الموصلايا هذا شاعر من كبار الكتاب في العصر العباسي وكان يقال له منشيء دار الخلافة ، خدم الخلفاء خمسا وستين سنة ابتداء من امر القائم بامر الله سنة ٤٣٢ حتى توفي سنة ٤٩٧هـ (٣) . وابياته المذكورة اعلاه تتمة للخبر السابق حيث ان الحديث مستمر عن نظام الملك ووصف اخلاقه ومزاياه فيقول: وكان نظام الملك من نوادر الزمان ... ثم يذكر الابيات .

٢ ـ في الباب الثالث فصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء ويصرح المؤلف بانه سمع الكمال بن جهبر يحكي ان الوزير عون الدين ابن هبيرة كتب الى الخليفة المستنجد بالله يتودد اليه ويشكره بقوله :

اقسمت بالآيات والكلمات في نص الكتاب ... وبباسط الارض القرار وسامك السبع الصلاب
اني احبك مخلصا ... من غير شك وارتياب
واحب ملكك للذنا ... ما بين بعد واقتراب
فلانصحنك ما حييت ... واجعلن رضاك دابي
ولانفقن فيك الحياة ... واشركنك في التراب

وعون الدين ابن هبيرة اسمه يحيى ، وكنيته ابو المظفر وزير للخليفة المقتفي المتوفى سنة ٥٦٠هـ . ولما انقضت ايام المقتفي ، وبويع بالخلافة للخليفة المستنجد اقر ابن هبيرة على وزارته حيث توفي ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ (٤) .

٣ ـ في الورقة ١٧ نص يقول فيه :

سمعت القاضي الفاضل ينشد مذاكرة :

اذا ما انجلى السراي فاحكم به
ولا تحكمنّ بما يشتبه
ونبّه فؤادك عن غفلة
فان الموفق من ينتبه

وقال : يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من الطماء ، ولا يستشار اهل الحرب كالزند يستنبط منه النار فانه يصليها ولا يصطليها .

والقاضي الفاضل الذي ينص المؤلف على انه سمعه هو مجيدالدين ابو علي عبدالرحيم المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وكان وزير السلطان صلاح الدين الايوبي وكاتبه (٥) .

بعد هذا الخبر مباشرة وفي نفس الورقة خبر اخر يقول فيه :

وقرات في رسالة كتبها عبدالله بن حمزة العلوي باليمن تتضمن وصيته الى عاملين من عماله ...

وعبدالله بن حمزة العلوي هذا احد ائمة الزيدية ... بويع له سنة ٥٩٣هـ وتوفي سنة ٦١٤هـ (٦) .

٤ ـ في الورقة ٢٥ وضمن الباب الخامس في ذكر كفاة الوزراء ، ونكت الفاظهم يعدد المؤلف الوزراء الكفاة في الدولة الاموية والعباسية . ويعدد من وزراء الدولة العباسية ابا سلمة الخلال ، وابا ايوب الموريائي ، ويعقوب بن داود والبرامكة ... ثم يعدد العوائل التي وليت الوزارة فيذكر بني الفرات وبني مقلة ثم يذكر اسمين لعائلتين تولتا الوزارة تستوقف الانتباه وتستدعي المناقشة وهما بنو جهير وبنو رئيس الرؤساء .

ثم يعدد الوزراء الذين وزروا للعجم فيذكر منهم الطغرائي ونظام الملك ويسميهم الذين وزروا للعجم تمييزا لهم عن الوزراء الذين وزروا للخلفاء بينما تولى هؤلاء الوزراء للامراء السلاجقة.

وحين يعدد وزراء ملوك المغرب يذكر ضمنهم ابن حزم وابن زيدون وابن عباد .

---

(٢) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨ـ١٣١
(٣) المنتظم ٩ : ١٤١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٨
(٤) وفيات الاعيان ٦ : ٢٣٠ـ٢٤٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢٢٩ .
(٥) انظر الكنى والالقاب ٣:٤٧
(٦) انظر الاعلام ٤ : ٢١٣ .

ونأتي الان لاستعراض هذه الاسماء فنجد ان المؤلف يتتبع اسماء الوزراء تاريخيا ، ويذكرهم بتسلسل من عهد الامويين ثم العباسيين منذ ايام نشوء دعوتهم ودولتهم ، الا ان ذكر بني جهير وبين رئيس الرؤساء هو الذي يثير التساؤل ، لان بني جهير عرفوا بعد وفاة الثعالبي وهم ينسبون الى ابيهم ابن جهير وهو محمد بن محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة مؤيد الدين ابو نصر ، استوزره الامير نصر الدين احمد ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم استوزره الخليفة وتوفى سنة ٤٩٣هـ .

ومن بني جهير ابو منصور عميد الدولة . ولي الوزارة ببغداد لثلاثة من الخلفاء ، سجنه الخليفة المستظهر بالله ، الى ان امر بقتله سنة ٤٩٣هـ (٧) .

وممن ولي الوزارة من بني جهير ايضا نظام الملك ابو نصر المظفري بن علي ابن محمد وزير المقتفي المتوفى سنة ٥٥٥هـ . ولم تطل ايامه (٨) .

اما بنو رئيس الرؤساء فهم من العوائل التي وليت الوزارة بعد وفاة الثعالبي ايضا وهم ينسبون الى رئيس الرؤساء علي بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر وزير القائم قبل ابن جهير . ومن اجله وقعت فتنة البساسيري حيث قتله البساسيري لما دخل بغداد ومثل به سنة ٤٥٠هـ (٩) .

اما الوزراء الذين وزروا للعجم والذي ذكر منهم اسم نظام الملك والطغرائي فقد مرت بنا ترجمة نظام الملك . اما الطغرائي فانه متاخر وهو اسماعيل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد مؤيد الدين المتوفى سنة ٥١٣ هـ من الوزراء الكتاب المشهورين وصاحب القصيدة المشهورة بلامية العجم والتي مطلعها :

اصالة الراي صانتني عن الخطل(١٠)

اما وزراء المغرب فقد ذكر منهم ابن حزم الوزير والعالم الاندلسي المشهور واسمه علي بن احمد بن سعيد كانت له ولاية الوزارة ثم زهد عنها ، وانصرف الى العلم وتوفى سنة ٤٥٦هـ (١١) .

ومن وزراء المغرب الذي ذكرهم ابن زيدون احمد بن عبدالله بن احمد الشاعر الاندلسي المعروف وكان من اهل قرطبة انقطع الى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالاندلس) ، فكان سفيره الى ملوك الاندلس . ثم اتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه الوزارة الى ان توفى باشبيلية في ايام المعتمد على الله سنة ٤٦٣ (١٢)

٥ ـ في الورقة (٣٦) مقطوعة لابي اسماعيل الطغرائي من قصيدة اولها :

على اقلات الوادين سلام
وبعض تحايا الزائرين غرام
هم شرعوا ان الجفاء محلل
وهم حكموا ان الوفاء حرام

وذكر منها في الاستعطاف :

اجلك ان القائل بالعذر صادقا
وبعض اعتذار المذنبين خصام

وقد مر بنا ان الطغرائي شاعر توفي بعد عصر الثعالبي بقرن حيث توفى سنة ٥١٣هـ .

* * *

هذه هي المآخذ التي تؤخذ على نسبة الكتاب للثعالبي وتشكك فيه لان النصوص المذكورة متعلقة بفترات متاخرة عن عصر الثعالبي . وبعد دراسة هذه النصوص ومكان ورودها مع دراسة نصوص المخطوط ونقدها يتوضح لنا انها زيادات ليست من اصل كتاب تحفة الوزراء ، ذلك ان مقارنة نسخ الكتاب المختلفة تهدينا الى حقيقة كونها عدة نسخ لاصل واحد نسخه ناسخ متاخر ، واضاف اليه هذه الزيادات ودليلنا على هذا القول مستند على دراستين ، الاولى دراسة النصوص المضافة والثانية دراسة النصوص الاخرى الواردة في الكتاب .

ان تتبع هذه الزيادات يبين لنا انها اضيفت في نهايات وخواتيم بعض الفصول وكان الناسخ كان يضيف بعض ما يخطر بباله من نصوص متعلقة بالفصل ناسيا لجهله انها نصوص متاخرة عن عصر الثعالبي الذي ينسخ كتابه .

فالنصان المدرجان تحت رقم (١) اضيفا في خاتمة الفصل الاول من الباب الثاني حيث يأتي بعده الباب الثالث .

اما النص رقم (٢) فانه في خاتمة فصل سماه بفصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء حيث لم يذكر المؤلف فيه الا خبرا عن المامون ووزيره الحسن بن سهل وكان الناسخ وقد خطر بباله خبر عن المستنجد بالله اضافه ليزيد طول هذا الفصل بما ينسجم مع الفصول الاخرى . وان كانت مسالة طول الفصول وقصرها عند الثعالبي غير خاضعة لخطة معينة حيث يزيد طول بعضها فيتجاوز الصفحات ، ويقصر بعضها الاخر فلا يتجاوز الخبر الواحد او الشخص الواحد .

اما الخبران المدرجان تحت رقم (٣) فانهما الوحيدان اللذان وجدناهما وسط فصل ، وليس في خاتمته كما افترضنا ان تكون الزيادات . الا ان اقحامها يبدو واضحا وسط اخبار واشعار متناثرة لفترات متقدمة حيث يبدو فيها ورود الخبرين المتاخرين غير منسجم ابدا .

اما مجموعة الاعلام الواردة ضمن الفقرة (٤) فانها تصدق عليها فرضية كونها زيادة من الناسخ ، لانها ايضا وقعت في خاتمة الباب الخامس وكان الناسخ وهو يكتب ويستعرض مع المؤلف اسماء كفاة الوزراء ومشهوريهم والعوائل التي وليت الوزارة اراد لجهله ان يتم الفائدة فاضاف في نهاية الباب ما بلغ علمه من الوزراء الذين تلت فتراتهم فترة حياة الثعالبي المؤلف حيث يأتي بعده فصل جديد في نبذ ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم .

ورب معترض يعترض على نفي هذه الشكوك ومناقشتها

---

(٧) وفيات الاعيان ٥ : ١٢٧ـ١٢٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢١٤ .
(٨) الفخري : ٢١٥
(٩) الفخري : ٢١٥ ، تاريخ الخلفاء : ٤١٨
(١٠) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٨٥ـ١٩٠
(١١) ارشاد الاريب ٥ : ٨٦ـ٩٧ ، وفيات الاعيان ٣ : ٣٢٥ـ٣٢٠ .
(١٢) وفيات الاعيان ١ : ١٣٩ـ١٤١ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٨٦ .

ثالثا : ومن ادراك ان هذه النصوص زيادات وليست اصلا لمؤلف متاخر سمّى كتابه بنفس اسم كتاب الثعالبي ، ثم وهم بعض النساخ فابدلوا اسمه باسم الثعالبي لشهرته !؟

اقول ان هذا الاعتراض مرفوض لادلة اخرى اعتمدنا فيها على دراسة المخطوطة نفسه ، ونقد نصوصه واخباره وهي :

اولا ـ يذكر المؤلف في مقدمة كتابه انه الف هذا الكتاب واهداه الى الوزير ابي عبدالله الحمدوني بعد ان خدم مولاه خوارزمشاه واهداه كتابه الملوكي يقول (الورقة ٢) .

وبعد : فاني حين خدمت مولانا ملك الزمان وفريد العصر والاوان خوارزم شاه ثبت الله ملكه ، وجعل الدنيا كلها ملكه بالكتاب المسمى بالملوكي ، خطر لي ان اخدم وزيره الاعظم، ومشيره الافخم ابي عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسة الوزراء ، وان كان مقامه الشريف مستغن عن ذلك لسلوكه تلك المسالك ، وانما قصدت به استجداء مواهبه الجسام ، ومكارمه العظام . ووسمته بتحفة الوزراء ..

وخوارزمشاه هذا امير اتصل به الثعالبي فاكرمه واثابه وتوطدت العلاقة بينهما فذكره الثعالبي في اكثر من كتاب . قال الثعالبي في مقدمة كتابه نثر النظم وحل العقد(١٣) .

(ايام مولانا الملك المؤيد ، العالم المسدد ، ولي النعم ابي العباس خوارزمشاه ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه موالية الشرف ...) ثم صرح باسمه الكامل في مقدمة كتابه الكناية والتعريض حين قال (عونك اللهم على شكر نعمتك في ملك كملك ، وبحر في قصر ، وبدر في دست ، وغيث يصدر عن ليث ، وعالم في ثوب عالم ، وسلطان بين حسن واحسان :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت
تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تغني عن التسمية ، ولا تحوج الى التكنية اذ هي مختصة بمولانا الامير السيد الملك المؤيد ولي النعم ابي العباس مامون بن مامون خوارزم شاه مولى امير المؤمنين ادام الله سلطانه ...) (١٤)

وحين نبحث عن ترجمة خوارزم شاه مامون بن مامون نجد ذكر له حيث نقل البيهقي في تاريخه عن كتاب مسامرة خوارزم لابي الريحان البيروني ترجمة خوارزم شاه هذا حيث وصفه بانه كان اخر امراء اسرته حيث انتهت بوفاته دولة المامونيين وانه كان رجلا فاضلا ، شهما ، نشيطا اديبا يرعى الادباء والعلماء . ثم ينقل خبرا (البيروني) عمن حدثه عن الثعالبي يحكي فيه حديثا جرى بينه وبين خوارزم شاه فيصف الثعالبي قبل ذكره لخبره بقوله (وكان قد رحل الى خوارزم شاه فترة والف باسمه كتبا كثيرة سمعته يقول : كنا ذات يوم في مجلس الشراب نتحدث في الادب فجرى الحديث عن نظر فقال خوارزمشاه .... الى اخر النص) (١٥) .

ثانيا :

ورد في الورقة الرابعة ما يلي :

(وقال لي يوما ابو الفتح البستي الكاتب : لم اعلم الى البارحة ان ابا اسحاق الصابي اكتب الناس وابلغهم ولولا الديانة لقلت اعقلهم فاني عثرت ...)

وابو الفتح هذا اديب معاصر للثعالبي اسمه علي بن محمد ابن الحسين توفي سنة ٤٠٠هـ ، خدم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ثم اخرجه هذا الى ما وراء النهر فمات هناك (١٦) .. وقد ترجم له الثعالبي ترجمة طويلة وذكر كثيرا من اشعاره وغرر اقواله واخباره (١٧) .

ثالثا :

في الورقة (٥) يستمر حديث المؤلف عن ابي الفتح البستي فيقول :

وقال لي يوما بنيسابور وقد اخذنا باطراف الاحاديث بيننا: ما احوج الامير سيف الدولة يعني السلطان المعظم يمين الدولة وامين الملة اعز الله تعالى انصاره ، لانه كان اذ ذاك صاحب الجيش للامير الرضي نوح ابن منصور (الساماني) رضي الله تعالى عنه ـ ويلقب بسيف الدولة ـ الى وزير كما انشدتني لنفسك :

كتب الامير كتائب في المعركة
والرأي منه طبيب داء المملكة
واذا رمى بالظن خطبا مشكلا
اضحت ستورالغيب عنه مهتكة

ومنجم ، كما انشدتني لنفسك :

صديق لنا عالم بالنجوم
يحدثنا بلسان الملك
ويكتم اسرار سلطانه
ولكن ينم بسر الفلك

انتهى النص)

من المعلوم ان يمين الدولة وامين الملة صاحب الجيش هو ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين الذي اهدى له كتابه الاقتباس (١٨) .

اما نوح بن منصور فهو امير ما وراء النهر ولي الامارة بعد وفاة ابيه سنة ٣٦٦هـ وهو صبي وتوفي ببخارى سنة ٣٨٧ (١٩) وقد اتصل به الثعالبي ايضا ويصرح النص بسماع المؤلف كلام البستي مباشرة وحديثه عن فترة عاشها الثعالبي ايضا .

والبيتان الاخيران هما للثعالبي نفسه كما ورد في كتبه الاخرى (٢٠) .

---

(١٣) كذا في الاصل ويبدو ان كلمة او جملة سقطت من اول النص . انظر نثر النظم ص ٢ .
(١٤) الكناية والتعريض : ١
(١٥) تاريخ البيهقي : ٧٢٤
(١٦) انظر وفيات الاعيان ٣ : ٣٧٦-٣٧٨
(١٧) انظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٣-٢٤٦
(١٨) الورقة (١) من كتاب الاقتباس وقد انتهيت من تحقيق هذا الكتاب واخذ طريقه الى الطبع في مطبعة الحكومة ببغداد .
(١٩) مختصر الدول : ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٢٢ ، طبقات سلاطين الاسلام : ١٢٨ .
(٢٠) انظر ثمار القلوب : ٦٧٩ ، احسن ما سمعت : ١٦٢ ، من غاب عنه المطرب ٢٢٢ ، خاص الخاص : ٢٤٩ .

ثالثـا :

في الورقة ٢٧ يقول :

(وحدثني عون الهمداني قال : سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استؤذن على فخر الدولـة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة ...)

وابو عيسى المنجم احد معاصري الثعـالبي الذين ذكـر لهم شعرا في يتيمته وذكر له قصائد في مدح الصاحب بن عباد ووصف داره التي بناها في اصبهان (٢١) .

رابعـا :

في الورقة ٢٧ نفسها يستمر الحديث عن الصاحب بن عباد فيروي المؤلف رواية عن الهمداني . ويبدو انه يقصد به البديع، لان بديع الزمان من معاصري الثعالبي ايضا وقد لقيه وصحبه ، وكتب عنه ترجمة في اليتيمة (٢٢) ، وقال يافوت عنه انه لـم يستقص احد خبره احسن مما اقتصه الثعالبي ، وكان قد لقيه وكتب عنه (٢٣) . وكان البديع قد اتصل بالصاحب بن عباد نفسه وعاش في كنفه وظلل كرمه (٢٤) .

خامسـا :

ورد في الورقة ٣٤ وضمن فصل بعنوان (في العفو وما يجري مجراه) :

(ولا ينبغي ان يعلن الوزراء بعقوبة من لم يعلن بذنبه فتكثر اللائمة بل يضع الذنب السر عقوبة السر ، ولعقوبة العلانية عقوبة العلانية ، الا في الحدود المأمور بامضائها ، ولتكن عقوبته للادب لا للذنب . وقد ذكرت بعض ما ينبغي من ذلك في كتابي الملوكي المؤلف للملك خوارزم شاه .)

وقد مر بنا الحديث عن خوارزم شاه وصلة الثعالبي به ، واهدائه كتابه الملوكي له .

* * *

واخيرا القول ان هذه الادلة كلها تؤكد وتثبت نسبة الكتاب الى الثعالبي . اما المآخذ التي ذكرتها فما هي الا مجرد زيادات اضافها ناسخ متاخر ومن نسخته كتبت نسخ اخرى متعـددة فوصلت نسخ الكتاب بشكلها الحالي . وقد وجدت ملاحظـة تؤيد ما ذكرناه من اعتبار هذه النصوص زيادات ليست من الاصل وجدت ملاحظة في هامش الورقة ٣٦ من نسخة فيض‌الله وعند ذكر قصيدة لابي اسماعيل الطغرائي الملاحظة هي ما يلي :

(من هنا الى قول الصابي زيادة ليس من رواية الاصل)

وحين تنتهي قصيدة الطغرائي تؤكد الملاحظـة بهامـش اخر هو :

(الى هنا ليس من رواية الاصل)

وبعدها تاتي ابيات للصابي في اشهار العفو .

ومع كل هذه الزيادات التي يمكن ان يهتدي‌اليها الباحث بالبحث والتمحيص يبقى كتاب تحفة الوزراء للثعالبي ارثا قيما من تراث الثعالبي الضخم ، وجانبا حيا من جوانب الفكـر العربي الاسلامي والحضارة العربية الزاهرة .

---

(٢١) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٢١٣

(٢٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦

(٢٣) ارشاد الاريب ١ : ٩٦

(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ ، ارشاد الاريب ١ : ٩٦